ملح رشيد

مجموعة قصصية

مريم تورکان

الإهداء

إلى أستاذي مُحمّد جاسر (الراوي).. جُزيتَ عنّي الجنّةَ ونعيمها.

مريم توركان

الفهرس:

1_قلم رصاص

2_قلب غريب

3_العدد في الليمون

4_مسروق

5_ملح رشيد

6_مُذكّرات

7_أبي زيد

8_صندوق الهدايا

9_هشام ورَدّ السلام

10_فأتبع سببًا

1_(قلم رصاص)

ذهبتْ إلى عملها بعدما أفطرتْ مع والدتها، دلفتْ مكتبها وجلستْ على مِقعدها المُتحرك، ثُمَّ أخرجتْ بعض الأوراق وأمسكت بقلمها كتبت بعض الكلمات، ثُمَّ ضغطت على زرٍ فجاءها مُطاوع.

عم مُطاوع صباحُ الخير.

صباحُ النور أُستاذة أروى.

هل أعددت ليَّ القهوة؟

حالاً سآتي بها لحضرتُكِ.

ثُمَّ نظرتْ لصورةِ والدها المُزَيّن بها مكتبها وأضافتْ: رَحِمَكَ اللَّهُ يا أبي قد كنتَ فارسًا وسلاحُك القلم الحُرّ.

طَرَقَ مُطاوع الباب مُستأذنًا في الدخول.

أَذِنَت لهُ فدلف.

أعددتُها مضبوطةً كالعادة، تَفضلي بُنيّتي.

أروى: سَلِمتْ يداك عم مُطاوع.

مُطاوع: بالهناء والشفاء، ثُمَّ غادر.

جاء للجريدة خبرًا يُفيد بسرقة إحدى الشركات الكُبرى، فذهبت أروى لموقعِ الحادث لتغطية الخبر؛ كمسؤولٍ عن قسمِ الحوادث بالجريدة.

أنا برئ يا حضرة الضابط، يعلمُ اللَّهُ أنَّي برئ ولا دخلَ لي بما حدث.

إذا سمحتَ حضرة الضابط: أنا أروى محمود صحفية، ما تُهمة هذا الرجل؟

رَدَّ الضابط: أهلًا، هذا الرجل موظفٌ بهذهِ الشركة ومُتَهَمًا بسرقتها، إذا سمحتِ تَنَّحِي جانبًا.

تَفضل حضرة الضابط تفضل.

ثُمَّ سألت أروى أحد العاملين عن المتهم، وعلى هذا اِستطاعت التعرُف على شخصيتهِ نوعًا ما.

عم إبراهيم ساعي الشركة يبلغ من العُمر خمسونَ عامًا، ويعمل بها مُنذُ سنوات، يتمتع بسُمعة طَيِّبَة في عمله، ومحبوب من الجميع.. حسنًا إذًا.

لقد تأخرَ الوقت أُستاذتي الجميلة!

أروى: أهلًا بك عم مُطاوع، لقد جهزتُ أوراقي لعمل غدٍ إنْ شاء اللَّه، والآن سأذهب إلى البيت، أتُريدُ شيئًا عم مُطاوع؟

سلامتُكِ أُريد.. ليحفظكِ اللَّهُ بُنيّتي.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ تاجَ رأسي، أروى: أُمّي عُذرًا على التأخير.

الأُمّ: لا عليكِ بُنيّتي، هيّا لنأكلَ سويًا.

أروى: حسنًا أُمّي، سأُبدّل ثيابي وآتي.

الأُمّ: ولكن لا تتأخري أروتي حبيبتي.

أروى: حسنًا أُمّي، سأفعل.

تناولاتا طعامهما ثُمَّ خلدتا للنوم.

وفي الصباحِ ذهبتْ أروى إلى عملها، وما أن وصلت حتّى أخبرها مُديرها في العمل أنَّهُ قد حجز لها موعِدًا مع المُتّهم بسرقة الشركة قبل عرضهِ على النيابة.

سُرَّت أروى بما سَمِعَت وأعدَّت عُدّتها ثُمَّ ذهبتْ إلى قسم الشرطة.

أُستاذة أروى محمود تفضلي، لكِ ربعُ ساعة من الوقت.

أشكرك حضرة الضابط.

السلامُ عليكَ عم إبراهيم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكِ السلام والرحمة أُستاذة أروى.

أحضرتُك تعرفُني؟

ومَن لا يعرفُ وريثةُ أبيها في القلمِ الحُرّ.

وهل تعرفُ أبي؟

كيف لا أعرفُ محمود السعودي؛ وقد كان أشهر من نارٍ على عَلَمٍ، رَحِمَهُ اللَّه.

أروى: رحمهُ اللَّه، عم إبراهيم أُريدُ معرفة ما حَدَثَ بالضبط إذا سمحت لي.

عم إبراهيم: بالطبعِ بُنيّتي.. يوجد في الشركة بعض الأجهزة الإلكترونية باهظة الثمن المُؤَّمنة من قِبل بعض شركات التأمين، وقد تَمَّ نقل إحداها للمخزن ولم يكن مسؤول المخزن موجوداً ليُباشر النقل؛ فقُمتُ بعملهِ بأمرٍ من صاحب الشركة لثقتهِ بي، بعدما تَمَّ إيداع حاوية بها جهاز إلكتروني أغلقتُ المخزن وأعطيتُ المفاتيح للمهندس هيثم ابنُ صاحب الشركة وعضو مجلس إدارتها، وذهبتُ بعدها لأُباشر عملي، بعدها بيومينِ فوجئتُ بإتّهامي بالسرقة من قِبل المهندس هيثم، وقد أبلغ عنّي الشرطة وحَدَثَ ما حدث.

عم إبراهيم هل تَشُّكُ بأحد؟

لا يا ابنتي فالجميع يُحبونني وأنا كذلك أُحبهم.

أروى: فَرَّجَ اللَّهُ همَّك عم إبراهيم.. أتُريدُ منّي شيئًا قبل أن أذهب؟

عم إبراهيم: شكرًا لحضرتُكِ .

أنهتْ الزيارة وذهبتْ لمُقابلةِ صاحب العمل.

من فضلك أُريدُ مُقابلة المهندس عزّت صاحب الشركة.

مَن حضرتُكِ؟

وهل هُناكَ موعد سابق للمُقابلة؟

مع حضرتُكَ أروى محمود صحفية، ليس لديَّ موعد، المعذرة، كُلّ ما أحتاجهُ هو ربعُ ساعة فقط.

إنتظري حتّى أُخبرَ حضرته.

استدارتْ لتُلقي نظرة على مكتبِ سكرتير رئيس مجلس الإدارة..
لحظاتٍ وسَمِعَتْهُ يُناديها: أُستاذة أروى.

نعم.

تفضلي بالدخولِ مُشيرًا لها بيده.

شكرًا.

على الرُحب والسعة.

دلفتْ فوجدتْ المُهندس عزّت ينتظرها، قامَ إليها مُرّحبًا: أهلاً وسهلًا تفضلي بالجلوس.

أروى: شكرًا لذوقكَ الرفيع حضرة المهندس.

المُهندس عزّت: مُؤَكَد أنَّكِ أتيتِ بخصوص واقعة السرقة.

فأومأت بالإيجاب.. فأردف: ولكن ليس لدينا جديد كي نُخبركِ به.

أروى: أعلمُ ذلك لذا أتيتُ لأُخبر حضرتك!

المهندس عزّت: قبل أيُّ شيء تفضلي العصير.

أروى: سَلِمتْ يداك حضرة المهندس.

المُهندس عزّت: بالهناءِ والشفاء.

شَرِبَت أروى العصير ووضعت الكوب جانبًا ثُمَّ أكملت حديثها : قد عَلمتُ بأمانة عم إبراهيم وثقة حضرتُك به.

المُهندس عزّت مُقاطعًا: نعم فبيننا عِشرة عُمر.

أروى: إذًا كيف تُصدِّق ما لُفقَ له؟

المُهندس عزّت: لأنَّ الأدلة تُدينهُ، وماذا عن لُفِّقَ له.. أتعرفينَ مَن فعل ذلك؟

أروى: رُّبما ولكن بمساعدة حضرتُك سأتأكد.

المُهندس عزّت: كيف؟!!

أروى: عَلمتُ بأنَّ الجهاز المسروق مُؤَّمَن عليه فهل هذا صحيح؟

المُهندس عزّت: نعم، وقد أخبرتُ الشركة بمّا حَدَثَ وجاري اِتخاذ إجراءات التعويض.

أروى: وما رأيُ المُهندس هيثم؟

المُهندس عزّت: وما عَلاقة هيثم بهذا الأمر؟

أروى: المُهندس هيثم مُحَاطٌ بالشُبهات، أعلمُ أنَّ ما أقولهُ صعبٌ ولكنَّهُ واقع!

المُهندس عزّت غاضبًا: ماذا تقولينَ أنتِ؟

لا تُفقديني صوابي.

أروى: تَمَالك أعصابك حضرة المُهندس.. تفضل الماء.

المُهندس عزّت بعدما شَرِبَ الماء: شكرًا، أنتِ لا تعرفي هيثم ابني فلا تتهميهِ بما هو ليسَ أهلًا له.

أروى: أعتذرُ لحضرتك، ولكن إذا لم يكن هيثم فمَن إذًا؟

وهو مَن تَسلّم المفاتيح من عم إبراهيم بعدما تَمَّ إيداع الحاوية بداخل المخزن، الحاوية... نعم الحاوية، حضرة المُهندس أهُناك موظفٌ مُخصص لنقل الحاويات بالمخزن؟

المُهندس عزّت: نعم، الأُسطى عبده.

أروى: إذًا كَلمةُ السرّ الأُسطى عبده.

المُهندس عزّت: كيف.. كيف يا ابنتي؟!

أروى: أنصت إليَّ حضرتُك، الأُسطى عبده هو المسؤول عن الجهاز المسروق؛ فإمّا أنَّهُ سُرقَ قبل أن يُوضَع بالحاوية وحينَ نَقَلَ الحاوية شعر بإنعدام وزن الجهاز فخشيَ من السؤال، فالتزم الصمت، وإمّا أن يكونَ الجهاز قد سُرقَ بعِلمهِ وتَقَاسَمَ أجرًا مع السارق وضَحَّىَ بزميلهِ إبراهيم!!!

المُهندس عزّت: إذا صَّحَ ما تقولينهُ فقد ظُلِمَ عم إبراهيم.. ولكن كيف نعرف؟

أروى: دع هذا الأمر لي؛ فلديَّ خبرة في كيفية التعامل مع مِثلها مِن الوقائع.

المُهندس عزّت: كما تُريدين، فليُعنكِ اللَّه.

أخذتْ أروى تُجري بحثها على الأُسطى عبده وحالتهِ المعيشية كيف كانت وكيف أصبحت؟

وتأكدَ ظَنُّها حينَ عَلِمَت من زوجهِ بأنَّهُ مُحدثُ غِنًا؛ وعلى الفورِ ذَهبتْ لوكيلِ النيابة وأخبرتهُ بكُلِّ شيء.

اِتخذ وكيل النيابة الإجراءات القانونية اللازمة معهُ؛ فقُبضَ عليه أثناء ذهابه لشركة التأمين لمُقابلة موظفٍ هُناك؛ واعترف بأنَّهُ مَن سَوَّلَ لهُ بأن يَتوهم بوجود الجهاز داخل الحاوية، في حين أنَّ الموظف قد سرقهُ وقام ببيعهِ وإعطاء الأُسطى عبده مبلغاً مالياً ليَسُدَّ فاهُ عن الحقيقة.

شَكَرَ وكيل النيابة أروى على شجاعتها في الحقّ، وخرجَ عم إبراهيم المُتّهم البرئ وكَرَّمهُ صاحب الشركة المُهندس عزّت.

عادتْ أروى إلى البيتِ بعد يومٍ طويلٍ تناولتْ طعامها ثُمَّ ذهبتْ لغرفتها، وقبل أن تنام فتحتْ خزينة ملابسها وأخرجتْ منهُ صندوقًا عتيقًا، فتحتهُ فإذ بهِ قلم رَصاص أمسكتهُ ثُمَّ أخذتْ تُحدّثُ نفسها: رَحِمَكَ اللَّهُ يا أبي، فقد أحببتُ الصحافة مُذ أهديتني هذا القلم؛ حينَ كتبتُ مقالي الأوّل صُدفة أليمة.. رَحِمَكَ اللَّهُ يا أبي يا قطين فؤادي.

2_(قلب غريب)

أنهى عملهُ وجلسَ ليستريحَ بعض الوقت فرأى بعض أصدقائه يسيرونَ بصُحبةِ أبنائهم، ورأى آخرون يفتتحونَ محلًّا للأدواتِ الصحيّة، فدارتْ في نفسهِ الأسئلة.. ماذا تفعل في الدُّنيا غريب؟

أَمَا يكفيكَ خمسة وثلاثون عامًا مَضينَ فيها، إلى متى ستظلُ هكذا؟

إلى متى ستعيشُ وحيدًا؟

إلى متى..... وإلى متى..... وإلى متى؟

ثُمَّ تَنَّهدَ بصعوبة زافرًا مَرارة عيشهِ وكَفَّ عن حديثه لنفسهِ مُتجهًا إلى سكنه.

مساءُ الخيرِ غريب.

مساءُ الخيرِ حمادة كيف كان عملك اليوم؟

حمادة: الحمدُ لِلَّهِ على ما يُرام وأنت؟

غريب بعدما تنّهدَ تنهيدة حارّة: أنهيتُ عمل المطبعة أنا وزُملائي اليوم، وغدًا لديّ عملٌ آخر في بيت عبده؛ كي أُزخرف لهُ شقة ابنه بالنِقاشة و.....

حمادة مُقاطعًا: ما هذا الصوت؟

غريب وقد سلّطَ سَمعه نحو الصوت: اصمت للحظة.. حماده إنَّهُ صوت بُكاء طِفلة؛ لرُّبما آتيًا من الغُرفة المُجاورة لغُرفتك!!

حمادة: أجل إنَّهُ كذلك غريب.

غريب مُهرولًا نحو الصوت ليجد جارهُ عدلي يضربُ ندى _يتيمةُ الأبّ ابنة زوجهِ_ ضربًا مُبرحًا، فما كانَ من غريبٍ إلَّا أن أمسكَ بتلابيبهِ حتّى أنقذهُ رجال الشارع؛ ليَفَرَّ هاربًا تاركًا سكنه والمنطقة بأسرها.

هَدَّأ غريب من روع الطفلة ذات الخمسة أعوام، ثُمَّ تَولَّى كفالتها لحين خروج والدتها من المَحبس؛ فقد تَمَّ القبضُ عليها نظير وصل أمانة مُقابل مبلغًا من المال أخذتهُ لزوجها، ولم تستطع السداد فقدّم صاحب الدَين الوصل للنيابة.

ندى لا تخافي ولا تبكي فقد أصبحتِ بكفالة غريب؛ سأعوّضكِ عن ما أوجعكِ، ابتسمت لهُ وأضافت: تُصبِحُ على خيرٍ غريب أبي.

رَدَّ عليها غريب: لا قبل أنْ تتناولي ما جلبتُ لكِ من طعامٍ وحَلوى.

مَرّت الأيَّام وتعلقتْ ندى بغريب وتَعلّقَ هو بها.

غريب: ندى أُريدُ الذهاب إلى العملِ غدًا يكفي ما أضعتُ من أيَّام.

ندى: لا تذهب أبي وتتركني وحيدة.

غريب: إذًا مِن أين سنأتي بالطعام والشراب؟

ندى: مِن البَقّال؟

غريب ضاحكًا: ندى سأتركِكِ عند آدم صاحبي تلعبي مع أبنائهِ حتّى أعود من العمل.

وعلى هذا الحال مَرَّ شهران.

ندى سنزور أُمّكِ اليوم فلترتدي هذا الثوب الأخضر الجميل.

ندى بعدما أخذتهُ: حسنًا أبي.

حمادة.. حمادة هيّا قد تأخرنا فلدينا مسافةٌ لا بأسَ بها.

حمادة: حسنًا غريب هيّا بنا الآن.

ندى فلذتي اِشتقتُ إليكِ حبيبتي واحتضنتها.

حمادة هامسًا لغريب: قُل لها شيئًا.

غريب: أمّ ندى فَلتَهدأي سيُدّبرها اللَّهُ.. لا تقلقي.

أُمّ ندى: سَترَكَ اللَّهُ كما سترتَ ابنتي.

غريب: الستّار هو اللَّه، وابنتُكِ أمانة في رقبتي حتّى تخرجي سالمة لتأخذيها.

أُمّ ندى: سأفعلُ وسأتطلق من عدلي لا بارك اللَّهُ فيه.

حمادة: خيرًا فكّرتِ .

غريب: كُلّهُ على اللَّهِ هَيّن.

انتهتْ الزيارة وعادَ الزائرون لسكنهم.

بعد شهرٍ من الزيارة أُخليَ سبيل والدة ندى؛ بعدما جمع بعض رجال الشارع المبلغ وأَعطَوهُ للدائن.

ندى مسرورة: أُمّي أتت.. أُمّي أتت.. أبي غريب قد أتت أُمّي.

غريب مُبتسمًا: لا فَرّق اللَّهُ جمعكما.

أُمّ ندى: لا حرمك اللَّهُ الستر والرضا.

أخذتْ أُمّ ندى طفلتها وسكنتْ بغُرفة زوجها عدلي الذي لم يُطلّقها بعد.

وعادَ غريب لعملهِ ورُغم ذلك لم ينشغل عن الإهتمامِ بالطفلة ندى.

عدلي.. عدلي ألم تعلم بأنَّ زوجكَ قد خرجتْ من المحبس؛ وهي الآن في غُرفتك القديمة، وتَنوي إقامة دعوة قضائية مطالبةً فيها بالطلاق منك.

عدلي مذبهلًا: هكذا إذًا شكرًا لك دسوقي.

دسوقي: وماذا تَودُّ أن تفعل الآن؟

عدلي: غدًا ستعلم.

دسوقي: كما تُريد.

تَركَ عدلي دسوقي واختلى بنفسهِ الأمّارة بالسوء.. خرجتْ من المحبسِ وتُريدُ الطلاق، أبهذه السهولة؟

سأجعلكِ تَكرهينَ يوم قَبلتِ الزواج منّي.

غريب: صباحُ الخيرِ حمادة.

حمادة: صباحُ الخيرِ غريب.

أُمّ ندى: صباحكما خيرٌ ورزق.

غريب: صباحكِ رضا ونور أُمّ ندى.

تَفضلي هذا إفطارُكِ أنتِ وندى.

أُمّ ندى:سَلِمتما وبارك اللَّهُ فيكما.

حمادة: نستأذن الآن.

أُمّ ندى مذعورة: عدلي.

غريب وحمادة: قد جِئتَ إذًا.

عدلي صارخًا بكل قُواه: شرفي الذي دُنِّس، عِرضي الذي هُتك!

حمادة ناظرًا لغريب وغريب ناظرًا لأُمِّ ندى.

أُمّ ندى: ماذا تقول أيُّها الظالم؟

عدلي: أقولُ ما سمعتما فأنتِ وغريب قد دنّستما شرفي!!

أُمّ ندى وقد غلبها الدمع: لَعنَك اللَّه.

غريب مُحاولًا ضرب عدلي لولا تدخل حمادة بمنعهِ مِن ذلك.

غريب ناهراً عدلي: وماذا يُتوَقع مِن دَيّوثٍ مُدمنٍ للمُسكرات مِثلك.

عدلي مُتظاهرًا بالبُكاء: سأهبطُ إلى الشارع ليحكم النّاس بيننا.

أُمّ ندى: اللهمَّ عليكَ بهِ فقد قذفني بالباطل.

وأثناء ذلك جاء آدم صارخًا مذعورًا: أنتم هُنا ولا تعرفون ما حدثَ لندى؟

سألهُ غريب: ماذا حَدَثَ آدم؟

آدم وقد ذرفتْ عيناه: قد سقطتْ في بالوعة الصرف الصِّحي _الغير مُغطاة_ إذ كانت تَركُضُ مُتجِهةً إليَّ لأفُضَّ الإشتباك الذي سَبَّبهُ عدلي.

أُمّ ندى وقد أمسكت أيسر صدرها صارخةً: بُنيّتي..

نددددددددددددددددى.

3_(**العدد في الليمون**)

وَضَعَ ليمونهِ الأخضر بجرابٍ صغير ثُمَّ حَملهُ على عاتقهِ وذَهَبَ إلى سوقِ المدينة حيثُ التجمُع الهائل للباعة والزبائن.

اللهمَّ ارزقني برزق زوجتي وولدي.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاتهُ.. تفضل عمّ، كم من الليمونِ تُريد؟

أنا عيسى ثُمَّ جلسَ بجانبهِ وهَمَسَ لهُ: بعشر حسناتٍ ليمون!

تعجبَ صبري ثُمَّ سألهُ التوضيح فرَدَّ: الليمونة الواحدة بحسنة والحسنة بعشر أمثالها واللَّهُ يُضاعفُ لمَن يشاء.

قَبّلَ صبري رأسهُ وأضاف: ولكنَّني لم أبيعَ بجُنيهٍ واحدٍ فكيفَ لي بالتصدُق؟

تبسمَ لهُ عيسى وأردف: تصدق بما تملك ولا تستهين بهِ ولدي.

أومأ إليهِ مُستحييًا وأضاف: ولكنَّني أخجل أن أتصدّق بمُجرد ليمون شيخ عيسى.

ربت على كتفهِ بحنانٍ أُبوي وأضاف: لا تخجل ولدي فالعدد في الليمون.

لم يعي صبري مقالتهُ ولكنَّهُ فَعلَ كما نَصحهُ؛ فاقتسم الليمون بينهُ وبينَ الشيخ عيسى، وما أن ذَهبَ عيسى حتّى باعَ صبري ما عِندهُ من الليمون، فأغلق جِرابه، ودَسّ جُنيهاتهِ بجيبهِ وعادَ فَرِحًا إلى بيته.

دَسَّ مِفتاحهِ بثقب الباب ففتحهُ ودلف.

صبري حبيبي قد جئتُكَ بميراثي من أبي ثُمَّ تعلقت برقبته.

قَبّلَ جبينها ثُمَّ أزال يداها وأردف: سميرة هو لكِ فلتدّخريهِ.

سميرة: ولكنَّني أُريدُكَ أن تكونَ شريكي في التجارة.

صبري: تجارة ماذا؟

سميرة: تجارة الخُضَر والفاكهة.

صبري: أوتُجيدينَها سميرة؟

سميرة: بالطبعِ أجل، أنسيتَ أنَّي ذات ثانوية تجارية؟

صبري: حسنًا حبيبتي إذًا ما هو دوري؟

سميرة: ستكون رئيس مجلس إدارة مَحِلّ الخُضَر، وأنا سأتوّلى مَهام مَحِل الفاكهة.

صبري: ولماذا لا نجعلهُما معًا؟

سميرة: يُمكن ذلك فيما بعد أمّا الآن فلا يجوز.

صبري: ولِمَ أُمّ مسعود؟

سميرة: حتّى نُكثِر من الزبائن.

صبري مُبتسمًا: حسنًا قد فهمت.

مَرّت الأيَّام ونَمتْ تجارتهما، فأصبَحَ المَحِلّان سلسلة مَحِلّات لتجارة الخُضَر والفاكهة.

ونتيجةً لأسلوبهم المُميّز وحُسن مُعاملاتهم، وجودة منتجاتهم، وإنخفاضِ أسعارهم، فقد فازتْ شركتهم في مُسابقةِ أفضل شركات تجارة خُضَر وفاكهة على مستوى العالم العربي.

حَضَرَ صبري نائبًا عن الشركة بصفتهِ رئيس مجلس إدارتها، أستقبلوهُ بحفاوة، وتَمَّ توجيه الأسئلة إليهِ، أجابها جميعًا عدا سؤال واحد؛ استوقفهُ فبكى ثُمَّ أردف: قد كنتُ فقيرًا لا أملك سوى اِمتهاني لبيعِ الليمون الأخضر، فلمّا وَرِثَتْ زوجتي، جاءتني بميراثها واقترحتْ عليَّ إنشاء مَحِلّان أحدهما للخُضَر والأخر للفاكهة، وتولّيتُ رئاسة مَحِلّ الخُضَر، وتَولّتْ هي رئاسة مَحِلّ الفاكهة.

مضتْ خمس سنوات وقد أصبح لدينا شركة سلسلة مَحِلّات لبيعِ وتغليفِ وتصديرِ الخُضَر والفاكهة، وأمَّا عن فوزي وما أنا فيهِ الآن فالفضل لِلَّهِ الذي أنعمَ عليَّ آنفًا ببيعِ الليمون الأخضر.

فقد كنتُ فقيرًا لكنَّني لم أنَسى يومًا التصدُّق قدر اِستطاعتي، وذات يومٍ أردتُ التصدُّق ولم أكُن قد بعتُ شيئًا من الليمون، فاستحييتُ أنْ أتصدقَ بليمونٍ أخضر، نَظَرَ إليَّ السائل مُبتسماً ثُمَّ قال: لا تخجل ولدي فالعدد في الليمون، ثُمَّ أَخَذَ بعض الليمون وذَهَب.. لم أعَي مقالته.

مَرَّ عامان وقد جاءني السائل بعدما أصبحتُ تاجرًا معروفًا، ضَحِكَ وسألني أَمَا تَودُ معرفة العدد في الليمون؟

أجبتُهُ مُتلهفًا: بلى.

قال مُبتسمًا: حينَ أتيتُكَ ولم أَجِد معكَ سوى الليمون، أخذتُهُ ثُمَّ ذهبتُ بهِ لعددٍ لا بأس بهِ من المُحتاجين، أخذوهُ وقاموا ببيعهِ، ثُمَّ رأيتهم كُلّما بَاعَ أحدهم ليمونه رَفعَ يديهِ إلى السماء داعيًا لكَ بالرزق والبركة، حتّى دَعوا لكَ جميعًا، فعلِمتُ حينها أنَّ اللَّهَ كافيكَ لا مَحالة.. وها أنتَ الآن كما تَرى، فلا تَنسى يومًا أنَّ العددَ في الليمون.

4_(مسروق)

اِنتصبَ واقفًا ليمسحَ عن وجههِ غُبارٍ أصابهُ إثر هبوب الرياح، أخذ يتلفت يمينًا ويسارًا حتّى انفرجَ فاهُ فتساءل: يا إلهي أينَ أنا؟

وما هذهِ الأصوات؟

سعد لتحمل عنّي هذه الأواني.

أعطينيها رافع، يا اللَّهِ ما أثقلها!

رافع: لا حِيلةَ لنا، هكذا أرادتْ حماتُك.

سعد: صدقت رافع وأينَ حماتي الآن؟

رافع: ذهبتْ مع آمنة بصُحبةِ النساء للحمّام العام.

سعد: إذًا ستُزيّن ليَّ العروس ثُمَّ ضَحِكَ في خَجل.

رافع: أتمَّ اللَّهُ زواجك على خيرٍ سعد.

سعد مُبتسمًا: آمين والعُقبى لكَ رافع صِهري الغالي.

هيّا لنُهيّأ الغُرفة ففي المساءِ الزفاف سعد.. ثُمَّ دَلَفَاَ البيت.

ما هذا المكان؟

ومَن هؤلاء النَّاس؟

ولماذا يرتدونَ هذهِ الثياب عتيقة التصميم؟

ثُمَّ نَظَرَ لنفسهِ فإذ بهِ يرتدي مثلهم!

صَرَخَ وكَتَمَ صوتهُ بداخلهِ حتّى لا يسمعهُ أحد.

ليتَني لم أُجرّب.. ليتَني لم أُجرّب.

ربتَ على كتفهِ بحنانٍ وأردف: صباحُ الخيرِ يا هذا.

ردَّ: صباحُ الخير.

سألهُ: مَن تكون؟

أجاب: أنا إنسان.

تبسمَ قبلَ أن يُضيف: أعلمُ ذلك.. أقصد مِن أينَ أتيت؟

أجاب: أتيتُ مِن آخرِ الدُّنيا.

حسنًا وما اسمُك؟

مسروق.. اسمي مسروق.

يا لهُ مِن اسمٍ غريب!

نعم سَيّدي، فقد سُرِقتُ مِن أهلي في صِغري فأصبحتُ مسروقًا.

ولماذا أتيتنا؟

لا أدري سَيّدي.

رُبما لديكَ سرّك الخاصّ، لا عليك، وأنا لستُ سيّدك، يُمكنُكَ مُنادتي بعمّي جعفر.

مسروق: شكرًا لكَ عَمّي جعفر.

جعفر: هيّا بنا الآن.

مسروق: إلى أين؟

جعفر: إلى بيتي، ستُقيم معي في بيتي.

مسروق: ولكن عَمّي جعفر.....

جعفر: لا تَقُل شيئًا، ستُقيمُ معي بحُكمِ أنَّك ابنُ أخي الغائب مُنذُ زمن.

وفي المساء.. جلسَ على مِقعدٍ من الخشب وارتدى نظارتهِ الطبيّة ثُمَّ فَتَحَ كِتابًا قديمًا وأخذ يسرد لهم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم، سنبدأ جِلسة الحكاوي....

كانَ وكانَ وكان في سالفِ الزمان

رَجُلًا يُدعَى سعفان

يحملُ قلب إنسان

يُشاركُ بطولة الشُجعان

ليس فارسًا من الفُرسان

ولكنَّهُ كريمٌ خَلوقٌ وحمدان

يُساعدُ بني الإنسان

ورفيقٌ بالحيوان

ليتَ شبابنا مثل سعفان.

أنَهَى الحكاواتي حكايتهُ ثُمَّ ذَهَبَ كُلٌّ إلى داره.

أُعجِبَ مسروق بما سَمِعَ، ونَامَ قرير العين رُغم عدم وجودهِ بينَ مَن يعرفهم ويعرفونه.

وفي الصباحِ الباكر.. دلفَ غُرفتهُ المبنية من اللَبِن واقتربَ منهُ هامسًا: مسروق.. مسروق.

نَهَضَ وأخذ يَفرك جَفنيهِ وأضاف: صباحُ الخير عَمّي جعفر.

جعفر وقد ضرب كفًّا بكفّ: هيّا بنا.

تساءل مسروق في دهشة: إلى أين؟

أجاب جعفر بصوتٍ عجول: إلى المركز فقد قامت الثورة.

أومأ رأسه مستفسرًا: ثورة ماذا؟

حملقَ بهِ جعفر وأردف: ثورتنا لإعادة زعيمنا من منفاه.

مسروق: مَن أنتم؟، ومَن زعيمكم؟

جعفر: نحنُ المصريون وزعيمنا سعد باشا زغلول.

تساءلَ مسروق في دهشةٍ: ماذا !!!؟

أنحنُ في العامِ ألف وتسعمائة وتسعة عشر؟

جعفر: أجل، هيّا نُلّبي النداء فقد خرجت القرية عن بَكرة أبيها.

ذَهَبَ مسروق دونَ استيعابٍ مع جعفر وأهل القرية إلى المركز؛ لدعم الثورة المصرية.

ليتَني لم أشرب ذاكَ الشراب الأزرق المسحور.

ليتَني لم أستعرض رجولتي أمام رِفاقي.

ليتَني.. ثُمَّ ليتَني.. ثُمَّ ليتَني.

أَخَذَ مسروق يُردد هتافات الثورة، وكأَنَّهُ رَضيَ بالواقع الذي اختارهُ بالمشروبِ الأزرق.

أثناء المُناوشات أُصيبَ جعفر بطلقٍ ناري في قلبهِ أودى بحياته.

تضجَرَ مسروق وتَقَدَّمَ الصفوف كاشفًا عن صدرهِ أمام بنادق الإحتلال.

وقبل أن يُطلَق عليه سَمِعَ أحدهم يُناديهِ خُذ هذا الشراب، استدارَ فإذ بالشرابِ الأزرق؛ أخذهُ وتناولهُ مُسبلًا جَفنيه.

بعد لحظاتٍ اختفى صوت الهتافات، فَتَحَ عينيهِ ليَرى نفسهُ وسط رِفاقه؛ أخذتهُ الدهشة فقام ليُقبّلهم دونَ وعيهِ بسرابٍ يفصل بينهُ وبينهم فسقط فيه.

يحيى.. يحيى لتستيقظ ولدي.

أُمّي أينَ أنا؟

تحت السرير ولدي.

ماذا؟

كما تَرى.. قد هبطتَ من حِلمكَ لتحت السرير آخذًا معكَ الكتاب الذي كنتَ تقرأ.

الكتاب أينَ هو؟

ها هو ولدي مسروق.

مسروق أأنا مسروق أُمّي؟

بل الكتاب ولدي اسمه مسروق.

أمسَكَ الكتاب وقَبّلهُ ثُمَّ قَبّلَ رأس أُمّهُ وأَمِنَ بحُضنها.

5_**(ملح رشيد)**

رشيد لتحمِل عنّي هذا الجوال بُنيّ.

اِقتربَ منهُ رشيد وحملَ عنهُ الجوال، وقبلَ أنْ يضعهُ أرضًا صرخَ رفيق وحَذَّرهُ ألَّا يفعل.

سألهُ رشيد وكادتْ رقبتهُ أنْ تنكسر من ثِقَلِ ما يحملهُ على عاتقه، كانتْ اِجابة الأبّ غريبة بالنسبةِ لفتًى لم يتجاوز الخامسةَ عشر؛ إذ أخبرهُ أنَّ هذا الجوال يَحمِلُ عِلاجًا لا مَثيلَ له، دواءٌ لكُلِّ داء، الجُرعة الواحدة منهُ تقضي على مجموعةٍ من الأمراض، كما تشفي النفسية من أمراضها.

تعجبَ رشيد الطالب بالصفّ الثالث الإعدادي من حديثِ أبيه، الذي يحملُ بينَ طيّاتهِ كمًّا ماهولًا من الجهل، ثُمَّ أخذَ يوضّح لهُ الصواب لكنَّهُ ما صبرَ عليه، فنهرهُ وطردهُ من البقالة شرّ طردة.

عادَ إلى البيتِ حزينًا مكسور الخاطر، رأتهُ أُمّهُ هكذا فضمّتهُ لصدرها، ثُمَّ سألتهُ السبب، أخبرها بما حَدَثَ فغضبت منهُ وأكدتْ أنَّ الحقَّ مع أبيه، وحذّرتهُ من أنْ يُسمِعَ أحدًا برأيه.

جاءتْ نعسة كما أمرها مبهور بكوخٍ في مكانٍ مهجورٍ من القرية، أعطتهُ ما تحصّلتْ عليهِ من مالٍ وطعامٍ نظير قراءتها البخت والفنجان، ثُمَّ أخبرتهُ بأسماءِ وأحوالِ مَن باعتْ لهم الوهم.

فَرِحَ بها مبهور وفَعَلَ معها ما يَفعلهُ شَّيطانٌ بشَّيطانةٍ إذا هو لقيها في الطريق.

باعَ رفيق جوال البَركة _كما يزعم_ والغريب في الأمرِ أنَّ أهل القرية يُقبلونَ عليهِ كُلّما توّفرَ لديه.

اِمتلأتْ خِزانتهِ السرّية بالنقود، تهللتْ أساريرهُ وعادَ إلى عُلوية يزفّ لها البِشارة؛ حيثُ قَرّرَ أنْ يأتيها بخادمة كي تُعينها على أعباء البيت، سُرَّتْ عُلوية بما سَمِعتْ وراحتْ لتُعِدَّ لهُ الغداء.

دلفَ غُرفة رشيد بعدما طرقَ الباب، جلسَ بجوارهِ على الأريكة، ثُمَّ رَبتَ على كَتفِهِ بحنانٍ قبلَ أنْ يسألهُ عن سببِ شَكّهِ في مبهور المُبارك، وعلاج البَركة الذي يُرسل رفيق لشرائهِ يوميًا من تاجرٍ بعَينه!

لم يستطع رفيق الجواب، لعدم توافر إجابة لديه، سألهُ عن أصلِ مبهور، فأخبرهُ أباهُ أنَّهُ ليسَ من القرية، بل جاءها مُقيمًا قبلَ سبعةَ عشرَ عامًا، ومعهُ بعض الأعشاب والبَخور، إذ كانَ قد اِمتهنَ العِطارة مهنة أبيهِ وأجداده.

تفقدَ مبهور القرية بعدما أَذِنَ لهُ شيخها أبي العزم بالإقامة، فلاحظَ تمسُّكِ أهلها بالوصفاتِ لمُداوةِ الأمراض، واِرتداءِ الأحجبة والتمائم لتسكينِ الأوجاع، المُدهش في الأمرِ أنَّها تسكُن بالفِعل.

ظَلَّ مبهور يُجري بحثًا عن عادات وتقاليد أهل القرية، وعن مدى اِحترامهم للعقل، وتقديرهم للعِلم واِجلالهم للعُلماء، فرأهم لا يُقدّرونَ سوى الخُرافات، ولا يُجلّونَ إلَّا الخُزعبلات، فابتاعَ قطعة أرضٍ وبناها لتكونَ دار المُبارك مبهور فيما بعد، ليستخدمها في علاجِ كافةِ الأسقامِ والأوجاع.

ذُهِلَ رشيد ممّا سَمِعَ وطلبَ من أبيهِ أنْ يذهبَ بهِ إلى بيتِ شيخ القرية، أخذهُ رفيق وذهبَ بعدما أخبرَ عُلوية.

سَعِدَ شيخ القرية بزيارتهما ورَحَّبَ بهما، أخبرهُ رفيق بسببِ الزيارة، ثُمَّ أخذَ رشيد يستفسر منهُ عن مبهور وكذا نعسة الغجرية، وافاهُ أبي العزم الإجابة عن كُلِّ ما استفسرَ عنه.

أقسمَ رشيد لهما أنَّ مبهور ما هو إلَّا دّجّالٌ من الدجاجلة، ونعسة هي خادمتهُ المُطيعة.

ثُمَّ عاهدهُما أنْ يُثبِتَ لهما، ولكنْ لا بُدَّ من مُساعدتهما، سألاهُ عن نوعِ المُساعدة فأجابهما؛ أنَّ شيخ القرية سيُراقب مبهور ونعسة، وأنَّ رفيق سيترك أمر شراء جوال البَركة هذهِ المرّةَ لرشيد، وافقا شريطةَ أنْ يكونَ الجوال الذي سيأتي بهِ آمنًا على الصّحةِ العامّة.

مَضى أسبوعٌ على هذهِ الزيارة، وقد تبيّنَ من مُراقبةِ مبهور ونعسة أنَّهما يتقاسمانِ النصب على أهل القرية، ويعيشانِ في الحرامِ تحتَ سقفِ

كوخٍ مهجور بعيدًا عن أعيُنِ الأهالي، بينما تاجر علاج البَركة الذي يبتاع منهُ رفيق ما هو إلَّا سكّيرٌ لا يدري عن البَركةِ شيء!

لكنَّ مبهور بحُكمِ خِبرتهِ في مجالِ العِطارة، كانَ قد اِتفقَ معهُ على خلطةٍ بِعَينها، تتكون من بعضِ الأعشاب المُهدئة والمُفيدة للجهاز الهضمي، كما كانَ يضع لهم نسبةً من النباتات المُخدِّرة؛ لتسكينِ أوجاع مرضى السرطان منهم.

ابتاعَ رشيد جوالًا من الملح، ثُمَّ وضعهُ ببقالةِ أبيهِ على أنَّهُ علاج البَركة ولكنْ في ثوبهِ الجديد، أقبلَ عليهِ الأهالي كعادتهم، أعطاهم جُرعاتهم وطلبَ منهم أنْ يضعونها على الطعامِ بدلًا من الملح؛ فإذا ما ضُبِطَ الطعم حلَّ الشفاء.

فعلَ الأهالي المُغيّبونَ ما طُلِبَ منهم، وراحوا يتغنوا بالعلاجِ الجديد الذي يحلّ محلّ الملح في ضبطِ الطعام.

عَلِمَ مبهور بالخبر فنفى وجود تجديدٍ لعلاجِ البَركة، وأمرهم بأنْ يأتوهُ بجُرعةٍ من العلاجِ الجديد، فعلوا فأخذَ يتذوّق بعض الجُرعاتِ فلم يطقها، لفظها وصاحَ فيهم: إنَّهُ ملحٌ أيُّها الجهلة، ولكنْ مَن الذي تجرأ على مبهور المُبارك؟

رشيد، قالها شيخ القرية أبي العزم وهو يتوكأ على عصاه، ويُجاورهُ رفيق، ويتقدّمهما رشيد.

وقفوا أمامَ مبهور ليُحاسبوهُ على ما فعلهُ بِهم طِيلة سبعةَ عشرَ عامًا مضتْ، دبَّ الخوف في نفسِ مبهور حتّى أنَّهُ لم يستطع أنْ يَنبسَ ببنتِ شفة.

حاولَ الهرب بعدما عرضَ رشيد خُداعهُ أمامَ الأهالي، كما أكدَّ لهم أنَّ ما أخذوهُ مؤخرًا من جُرعاتٍ هو ملح.. مُجرد ملح، لكنَّهُ فعلَ ذلكَ ليُثبِتَ لهم أنَّ مبهور كانوا يُداويهم بالوهم، وما ساعدهُ هو إيمانهم بهذا الوهم، والدليل أنَّهم شعروا بالراحة والسعادة بعد تناولهم جُرعاتِ الملح عن طريقِ وضعها في الطعامِ على أنَّها علاجُ البَركة!!

تَمَّ طرد نعسة من القرية شرّ طردة بعدَ التشهيرِ بها في سائرِ القُرى المُجاورة، بينما حبسوا مبهور بدارهِ التي يُقيمُ بِها، لحين نفاد جوال علاج البَركة الذي أبدلهُ رشيد بجوالِ ملح، ومن ثَمَّ يُقدّمونهُ للعدالة لينالَ جزاءه.

عاهدَ رشيد نفسهُ أنْ يجتهدَ في طلبِ العِلم قدرَ طاقتهِ لينفضَ عن الأهالي غُبار الجهل، ويجلو الظلام بنورِ العِلم.

6_(مُذكّرات)

لملمتْ أوراقها المُبعثرة في كُلّ مكانٍ بغُرفتها الصغيرة كرّوحها البرئية، ثُمَّ وضعتها بصندوقها الأسود وأغلقتهُ بإحكامٍ شديد قبل أن ترتدي زّيها المدرسي وتذهبَ في الحال.

نور فتاةٌ في الثامنة عشر من عُمرها، وُلِدَتْ لأُسرةٍ فقيرة، أبّ مُتواكل، أُمٌّ عاملة ومُكافحة، بالإضافة لأربعةٍ من الإخوة.

مُنذُ تعلمتْ القراءة والكتابة وهي تكتُبُ ما يُؤرق ليلها على هيئةِ مُذكّرات، لذا فصندوقها الأسود مليءٌ بالعديد من الرسائل السّرية، ولكن لماذا خبأتها بعيدًا عن أيدي أفراد الأسرة؟

بل لماذا تضعها في صندوقٍ أسود؟

أنهتْ يومها الدراسي وهَمّت عائدة إلى البيتِ لولا مَنَعها مانع قهري؛ فلديها رغبة مُلّحة في دخول دورة المياه، حاولتْ أنْ تتحمّل حتّى أحسّت ألمًا بكليتها اليُمنى، لم تتمالك نفسها فأسرعتْ إلى دورةِ المياه الخاصّة بالمدرسة، بينما تنتظرها إحدى صديقاتها.

قضتْ حاجتها وعادت ليسَ كما ذهبت!!

بعدَ أنْ خرجت من دورةِ المياه سَمِعت صوت طفلٍ قادمٍ من غُرفةِ المُدير، تساءلتْ كيف لطفلٍ أنْ يكونَ هُنا بل وبغُرفةِ المُدير؟

سارتْ خُطاها على أطرافِ قدميها كي لا يُشعَر بوجودها.

اِقتربتْ من الغُرفة وأنصتت لتسمع ما أخافها.. سَمِعت المُدير يقول لمُحدّثهِ عبرَ الهاتف أنَّهُ قد أتى لهُ بما طَلب، فَهِمَت مَقصِده، إنَّهُ يعي الطفل لا غيره، ولكن ما الذي سيفعلهُ بهِ؟

بل ما الذي سيجنيهِ من وراءِ فِعلته الشنعاء؟

أخذها التفكير حتّى تنبهت لصوتِ عواد (خفير المدرسة) قادم من أسفل، نزلت من السُلَّم الخلفي دونَ أن يراها أحد.

تظاهرت بالتمالُك أمامَ صديقتها ثُمَّ خرجتا من المدرسة.

عادت صديقتها لبيتها بينما هي لم يهنأ لها بال، فعقلها يكاد يفقد عمله من فرط تفكيرها، لم تظلّ هكذا طويلًا فذهبت إلى المدرسة مرّةً أُخرى لترى ما الذي يحدث؟

وصلت قبلَ أنْ يخرج المُدير حاملًا الطفل على يديهِ وكأنَّهُ غائبٌ عن الوعي، اختبأت وأخذت ترقُبهُ حتّى ذهبَ بسيارته، أسرعت في السيرِ خلفه بعدَ أنْ ذهبَ عواد لبيتهِ ولكنَّها لم تلحقهُ؛ للسُرعة الهائلة التي يقود بها.

أصابها الغضب ولكنَّها لم تيأس فأخذتْ تجري وتجري وتجري حتّى رأت سيارة يقودها عجوز، أَذِنَ لها بالركوب وأسرع خلفَ سيارة المُدير كما

طلبت منهُ، ثُمَّ سألها عن سببِ ما يدفعها لمُلاحقةِ تلك السيارة.. أجابتهُ بأنَّهُ من ذوي قُربتها نَسيَ بعض أغراضهِ الهامّة أثناء زيارتهِ لهم، قَبِلَ العجوز أُكذوبتها وزادَ في سُرعته.

وصلَ المُدير لمُبتغاهُ، فيلا مهجورة كما يبدو، نزلت هي بعيدًا عن الفيلا كي لا يراها المُدير ومَن هُناك، وَدّعها العجوز وغادر.

أخذت ترقُب المكان هُنا وهُناكَ حتّى غابَ الجميع في الداخل، اِقتربتْ من السور الحجري المُحيط بالفيلا، ثُمَّ اختبأت خلفهُ لتراهم دونَ أن يرونها.

رأت المُدير وقد أخذ ظرفًا ضخمًا بعض الشيء، ثُمَّ حيّاهم ببسمةٍ ساخرة وغادر، في حين أنَّ الطفل لا زالَ موجودًا بالداخل لا تعلم ما الذي سيحدُثُ له؟

لحظات وأُغلِقَت جميع نوافذ الفيلا فلم تَعُد ترى شيئًا.

أدارت ظهرها لتُغادر فإذ بالعجوزِ ينتظرها!

أخذها وأسرعَ بقيادة السيارة، سألتهُ عن سبب إيهامها بالمُغادرة؟

تبسمَ لها وأضاف: ما كُنتُ لأتركَ فتاة مثلكِ في مكانٍ مهجورٍ كهذا، ثُمَّ سألها عن سبب ما فعلت؟

قَصّت عليهِ ما رأت.. غابَ الحديث لحظات ليسود الصمت، الصمت لا غيره، حتّى سألها إن كانتْ تُريدُهُ بجوارها أم لا؟

رَحَّبت بهِ وفرحت بمقالته.

وعدها بأنَّهُ سيظل معها حتّى يهتديانِ إلى الحقيقة.

أوصلها بيتها في أحد أحياء الجيزة ثُمَّ غادر.

دلفت غُرفتها دونَ إلقاءِ السلام، خلعت حجابها ووضعتهُ جانبًا ثُمَّ جلستْ على سريرها لتُبحِرَ بعقلها في أمرِ الطفل.

دلفتْ أُمّها لترى ما بها؟

لم تنبس ببنت شفة حتّى ألّحتْ عليها فأسرّت لها بما يُشغل تفكيرها، شَهَقت الأُمّ من الفزع وأمرتها بترك ما يدور بعقلها، والتركيز على دراستها وحسب.

تظاهرتْ بالإمتثالِ لأمرِ أُمّها وتأكيدًا على ذلك أمسكتْ بأحد الكُتب وأخذتْ تُذاكر.

وفي اليومِ التالي لم تذهب إلى المدرسة بل ذهبتْ برِفقةِ العجوز إلى حيثُ الفيلا بعد أن أكّدتْ عليهِ البارحة، وصلا وأخذا يرقُبانِ المكان ثُمَّ تسللتْ هي لخِفةِ وزنها من أحدِ الأسوار الخلفية ونجحتْ في الوصولِ إلى المستودع السرّي.

أخرجتْ هاتفها الذكي وأخذتْ تُصور ما يقومونَ بهِ من قتلٍ للأطفالِ ثُمَّ وضعهم على المِقصلة ليتمَّ أخذ أعضائهم بمُعاونةِ طبيبٍ مُختص!

راعها المشهد فتحاملتْ على نفسها وكتمتْ رغبتها في التقيؤ، لحظاتٍ وخرجَ أحدهم ليُغلِقَ النافذة كما أمرهُ الطبيب؛ إذ أشّعة الشَّمس تُسبب لهُ الإزعاج.

أسرعتْ هي للخروجِ ومن ثَمَّ العودة إلى البيت، دلفتْ غُرفتها وأغلقتْ على نفسها الباب، ثُمَّ أخذتْ تُدوّن ما رأتهُ بمُذكّراتها ووضعتهُ بالصندوقِ الأسود، وتوسّدتْ بعد أن كادَ البُكاء يُنضج كبدها.

مَرَّ يومانِ وهي مُتغيبة عن المدرسة لا تستطيع أن ترى وجه ذاك المُدير النذل، كما لم تستسلم لمُحاولاتِ أُمّها في إقناعها بالعودة إلى دراستها والكفّ عن الدلال الزائد.

فكّرتْ ماذا تفعل؟

فكّرتْ وفكّرتْ وفكّرتْ حتّى هداها تفكيرها لأنْ تُخبِرَ العجوز بأمرِ الصور التي بحوزةِ هاتفها، ذهبتْ إليهِ في الموعدِ المُحَدَد مُسبقًا ومعها الهاتف المحمول، أخذتْ تَقُصّ عليه ما رأتْ ثُمَّ أخبرتهُ بأنَّها ستُخبر قوات الأمن لعملِ اللازم وإنقاذ مَن يُمكن إنقاذهم من الأطفال.

شرد ذهنهِ للحظاتٍ قبلَ أن يقترحَ عليها الذهاب إلى الفيلا لتصويرِ بعض الصور الأُخرى كي تُساعد قوات الأمن في القبضِ على أولئك المُجرمين.

ذهبتُ معهُ حيثُ أرادَ وهُناكَ كانت المُفاجأة!

حينَ دلفتْ الفيلا كالمرّة السابقة وجدتْ بعض حُرّاسها قد أمسكوا بها وقيّدوها ثُمَّ وضعوها بإحدى الغُرف، وبعد دقائق جاء رئيسهم ذاك العجوز الذي أوهمها بأنَّهُ سائق ويسعى معها في طريقِ الكشفِ عن الحقيقة!

أُصيبَتْ بالذهولِ حينَ رأتهُ وأخذتْ تبكي حتّى فقدتْ وعيها.

أخذَ هاتفها ووضعهُ بالمِحرقة حتّى ذابَ واختفى أثره.

كادَ اليومُ أنْ يمضي ونور لم ترجع بيتها بعد، جلستْ أُمّها تُبكيها وإخوتها يبحثونَ عنها هُنا وهُناكَ لكن دونَ جدوى.

مَرّت ثلاثة أيَّام وهي لم تحضر بعد، أبلغتْ الأُمّ قوات الأمن فأخذوا في البحثِ عنها لكنَّهم لم يجدوا إلى معرفةِ مكانها سبيلًا، سأل أحد الضُباط الأُمّ عن صاحبتها المُقرّبة وعناوين دروسها وتحرّوا عن ذلك ولم يوفقوا أيضًا.

تذكّرتْ الأُمّ حديث ابنتها عن المُديرِ والطفلِ والفيلا وأسرعتْ بإخبارِ قوات الأمن.

أخذ الضابط يُحلّل كلامها ثُمَّ استأذنها في الذهابِ إلى بيتها للبحثِ عن دليل، أَذِنَتْ لهم فأسرعوا إلى البيت.

دلفَ الضابط غُرفتها وأخذ يبحث حتّى عثر على صندوقها الأسود المُخبأ بخِزانةِ ملابسها، أخذهُ ووضعهُ على السريرِ وحاولَ فتحهُ لكن دونَ جدوى؛ إذ يحتاج فتحهِ إلى مِفتاحٍ خاصّ، حاولَ وحاولَ وحاول فلم يستطع فتحهُ سوى بكسرِ قِفله، وهُنا كانتْ الصدمة!

فتحَ الصندوق فوجدَ كلماتٍ حُفِرَتْ على غطائهِ من الداخل، وجَّه نحوها إضاءة هاتفهِ المحمول وأخذ يقرأها: مُذكّرات نور الظلام، أخرجها ووجدها مُرّقمة، بدأ قراءتها من الواحدة ظُهرًا وحتّى الثالثة عصرًا، ثُمَّ أسرعَ بجمعِ قواتهِ والإستعانة بقواتِ الدعم من مُديرية الأمن العام، ومنها ذهبَ إلى العنوانِ المسطور بمُذكّراتِ نور بعدما تأكد لديهِ أنَّهُ سيأتي بها لأُمّها ولكن جُثّة هامدة!

حملها على عاتقهِ ثُمَّ وضعها على المِقصلة إستعدادًا لقتلها ومن ثَمَّ أخذ أعضائها كما يفعلونَ بالأطفال.

أخذتْ تصرخ ولكن لا صوتَ لها؛ إذ لم يُطعموها سوى مرّتينِ مُنذُ قدومها وإلى الآن، أثناء ذلك وصلَتْ قوات الأمن فداهمتْ المكان، وألقتْ القبضِ على مَن فيهِ بينما أسرعَ الضابط لفكِ قيود نور.

مَرّت الأيَّام وأضحت تلك الواقعة الأليمة ذِكرى مسطورة بمُذكّراتي وهانذا أذكُرها بعدما حالتْ الأحوال وبلغتُ من العِمرِ ما جعلني هَرِمَة، كافحتْ لأجلِ أحفادها _من ولدها يوسف_ بعد موتِ أبويهم ونجحتْ في جعلهم مؤثرين في المُجتمع؛ فهُدى طبيبة نساء وتوليد ماهرة، وعربي مُهندس معماري متفوق في عمله، وسلمى خبيرة تغذية علاجية، وعادل عالِم كيمياء حيوية شهير، بالإضافة لآخر العنقود حمزة ضابط شرطة.

وسأُضيفُ الجديد من الذكرياتِ إلى صندوقي الأسود.. أتدرونَ لماذا خصصتُهُ باللون الأسودِ تحديدًا؟

لأنَّ السواد ثُقبٌ هائل يبتلع ما يقترب منهُ وهكذا ذكرياتي لا أُحِبُّ أن يراها سواي، وقد أسميتها نور الظلام لغموضي وتفضيلي عدم الوضوح إلى الحد الذي يجعلني كتابًا مفتوحًا يسهل قراءته، كما أنَّها تحوي أشخاص غيري لذا من الواجبِ عليَّ إحترامهم وعدم الخوض في سيرتهم، وما ذكرتهم إلَّا لتأثيرهم بيَّ أو عليَّ.

7_(أبي زيد)

أعدّتْ لابنها ما يُحِبُّ لهذا الغداء، فكانَ الأرز بالشعيرية المطهو بالسمن البلدي، والملوخية الجافّة المطهوة على مَرقِ البط بإضافةِ القليل من السمن البلدي، كما طهتْ لهُ طاجن البامية الذي يُفضّل، وصنعتْ طبقًا غنيًّا بالمعادن والفيتامينات فكانتْ السلطة الخضراء، بالإضافة إلى طبقِ الزيتون الأسود المُخلَل، ولم تَنسَ أنْ تصنع عصير الأناناس؛ لرفعِ كفاءةِ الجهاز المناعي وللمُساعدة على الهضم.

زَيّنتْ المائدة بما أعدّتْ ثُمَّ نادتْ ابنها ليُشاركها تناول الغداء.

حُسام هيّا لنتناول الغداء.

حُسام: حسنًا أُمّي.

الأُمّ: قد أعددتُ لكَ ما تُحبُّ من الطعام.

حُسام بعدما قَبّلَ يُمناها: سَلِمَتْ يداكِ أُمّي.

الأُمّ: سَلَّمَكَ اللَّهُ بُني، ماذا فعلت بقصتُك؟

أأنهيتَ كتابتُها؟

حُسام: ليسَ بعدُ أُمّي.

الأُمّ: ومَتى آخر موعد للمسابقة؟

حُسام: بعد يومينِ أُمّي.

الأُمّ: أوبإستطاعتُكَ المُشاركة؟

حُسام: أجل أُمّي.. فبفضل اللَّهِ قد أنهيتُ كتابة مُعظم القصّة وبَقيَ القليل.

الأُمّ: ضع في الحُسبانِ بأنّي سأكونُ أوّل القُرّاء لها.

حُسام مُبتسمًا: بالطبعِ أُمّي.

الأمّ: وفقكَ اللَّهُ بُني.

أنهى طعامهُ ثُمَّ دلفَ دورة المياه، غسل يداهُ وخرجَ ليستأذنها في الذهابِ لغُرفتهِ؛ لإكمالِ القصة.. أَذِنَتْ لهُ فذهب.

أمسكَ دفترهُ بعدما جلسَ على مِقعدهِ الجلدي، وأردف: بِسْمِ اللَّه، لأُراجعَ ما كتبتُ ثُمَّ أُكمِلُ القصة.....

جلتْ الأواني ثُمَّ دلفتْ غُرفتها لتَقِيلَ بعض الوقت، أمسكتْ صورة زوجها وأخذت تُحدّثها:

رَحِمَكَ اللَّهُ زيدًا؛ فقد سترتنا أمَامَ النَّاسِ بما تركتهُ لنا من سيرة عَطِرة يَشهدُ لها القاصي والداني، كما أغنيتنا عن سؤالِ النَّاس؛ فرُغم مرور عشر سنوات على وفاتك إلَّا أنَّ مالنا لم ينقُص مِنهُ إلَّا القليل.. آهٍ على

فِراقك حبيبي، قد علّمتنا أنَّ الصدقةَ تزيدُ المال ولا تنقُصه، ثُمَّ بَكتْ وتوسّدتْ.

صندوقٌ جميلٌ يحوي بداخلهِ مشاعرٌ نبيلة على شكلِ ملابسٍ تُناسب طفلًا في الثالثةِ عشر، وزجاجة مسك بالإضافة لمكتوبٍ أنيق.

هيثم.. هيثم.

نعم أُمّي.

خُذ هذا الصندوق.. هو لكَ ولدي.

هيثم فَرِحًا بعدما حملهُ عنها: أحقًّا نادرة أُمّ هيثم؟

نادرة وقد ربتت على كتفهِ: حقًّا بُنيّ.

هيثم وقد سقطتْ عَبراته على الصندوق: الحمدُ لكَ رَبّي.

نادرة: الحمدُ لِلَّهِ دائمًا وأبدًا.

هيثم: ولكن من أينَ لي بهذا الصندوق أُمّي؟

نادرة: قد أرسلتهُ أُمّ حُسام.

هيثم مُبتسمًا: إذًا قد ابتاعَ حُسام ملابس الشتاء.

نادرة: وكيف عرفت؟

هيثم: قد دعاني للذهابِ معهُ فأخبرتهُ بأنَّ لدي مُذاكرة.

نادرة مُبتسمة: هو ذاك هيثم.

فتَحَ هيثم الصندوق فوجد بهِ كُسوة الشتاء بالألوان التي يُحبُّها، وبجانبها زجاجة مسك من النوعِ الذي يُفضلُه، بالإضافة لمكتوبٍ أنيقٍ ككاتبهِ حُسام.. أخذ يقرأؤهُ على أُمّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

إلى أخي الذي لم تُنجبهُ أُمّي.

إلى صاحبي وحبيبي هيثم.. وبعد.

قد مَنَّ اللَّهُ علينا بكُسوةِ الشتاء فأردتُ أن تُشاركني شراءها ولكنَّ المُذاكرة أشغلتكَ فقمتُ بالشراءِ نيابةً عنكَ ولعلَّ ذوقي يُعجبُك.

سنظلّ إخوة إلى الأبد.

أخيكَ حُسام.

طوى المكتوب بعدما قَبّلهُ ودلفَ غُرفته.

أُمّي.. أُمّي قد أنهيتُ القصّة.

حسنًا فعلتَ ولدي هيّا اقرأها عليّ.

جَلَسَ حُسام على الأريكة بجانبِ أُمّهِ، وأخذ يسرد لها قصّتهُ القصيرة بطريقتهِ الجميلة، وما أنْ أنهاها حتّى انهمرَ الدمعُ من عينيها.. كفكفتْ دمعها وأضافتْ: حُسام قد أحسنتَ الكتابة ولدي، فليوفقكَ اللَّه.

سألها بلهفة: أأعجبتكِ أُمّي؟

رَدّت مُبتسمة: بالطبعِ أجل.

قَبّلَ يُمناها وأضاف: إذًا عَلَامَ البُكاء؟

أجابتهُ بصوتٍ مُختنق: شَعرتُ بأبيكَ فيها!

حُسام: صدقتِ أُمّي.. فقد كتبتها من بابِ شُكر أبي.

سألتهُ: وبِمَ عَنونتَها بُنيّ؟

أجابها مُبتسمًا: عَنونتها بأبي زيد.

8_(صندوق الهدايا)

قصّة قصيرة

(صندوق الهدايا)

قد عادت هند من المدرسة والحُزن يملأ عيناها، ثُمَّ أخبرتني أنَّ زميلاتها يسخرنَّ منها؛ للحرق الذي أصابَ نصفَ وجهها، ضممتها لصدري لكنَّها تركتني وأسرعت لغُرفتها، وهذا ما أبكاني سعيد.

ربت على يديها وأضاف: لا تحزني سُمية فمَن سيُقوّيها إن أنتِ ضَعُفتِ؟

سُمية بعدما كفكفت دمعها: حسنًا سعيد.. فليُدمكَ اللَّهُ لنا حبيبي ثُمَّ قَبّلَت جبينهُ.

ابتاعَ سعيد صندوقًا مُخصصًا لحمل الهدايا مُزيّنٌ بالألوان وذَهَبَ لغُرفة ابنته.

مَن الطارق؟

أبا حبيبته.

تَفضلَ أبي.

دلفَ ثُمَّ جَلَسَ بجوارها على الأريكة المُقابلة للنافذة، واضعًا صندوق الهدايا بجانبها.

رأى دمعها المُخَبأُ بعينها؛ فاحتضنها وقَبّلَ رأسها ثُمَّ حَدّثها: أي بُنيّة.. ما حَدَثَ قد حَدَث، فلا تُهدري وقتكِ بالحسرةِ عليه؛ فأنتِ الخاسرة في ذلك.

نَظرت إليه بعينٍ مُدمعة، ثُمَّ وضعت يداها على وجهها: ولكنَّ وجهي قد تَشوه أبي.

مَن قال ذلك بُنيّتي؟

رَدّت بصوتٍ مُختنق: زميلاتي بالمدرسة أصبحنَّ يسخرنّ مني ويصفنّني بالمُخيفة.

مَسَحَ الأبُّ دمعها وأضاف: إنظري في عيني.. لا تعبأي بسُخريتهنَّ فأنتِ مُميّزة.

تساءلتْ بغرابة: مُميّزة؟

أجابها مُبتسماً: أجل.. فلو أنَّكِ مثلهنَّ ما سَخِرنَّ منكِ.

رَدّت: أنا.

تبسم لها وأضاف: نعم أنتِ، لتتذكري حينَ كنتِ مثلهنَّ قبل أن يُميَّز وجهكِ، أكُنَّ منكِ ساخراتٍ؟

حَرّكت بصرها يمينًا ويسارًا ثُمَّ أجابت: لا لم يكُنَّ كذلك.

إذًا لماذا يسخرنَّ منكِ الآن؟

فَكَّرت بُرهة ثُمَّ رَدّت مُبتسمة: لأنَّني مُميّزة.

احتضنها ثُمَّ قَرّبَ منها صندوق الهدايا.

نَظَرت إليهِ بضحكٍ.. أبي صندوقٌ جميل.

تَبَسَمَ الأبّ ثُمَّ قال: أخطأتِ بُنيّتي فقد خَدَعكِ ظاهرُ الأمر.

كيف أبي؟

فَتحَ الأبّ الصندوق فرأتَ المُفاجأة.. قد وَضَعَ الأبّ بعض القمامة داخل الصندوق؛ ليوصل لابنته مفهومًا آخر للجمال.

هند: أهذهِ قُمامة أبي؟!

سعيد: نعم هند.

هند: ولكن كيف وظاهرُ الصندوق جميل؟!

سعيد: أحسنتِ بِنيّتي، فظاهر الشيء لا يَدل على ما يحتويهِ دائمًا.. ما أوَدُّ قوله أنَّ الجمال ليس بالضرورة أن يكونَ ظاهريًا؛ فهُناكَ جمال لا يُرى ولكنَّهُ يُحَس.

رَدّت هند بسرعة: جمالُ الرَّوحِ أبي.

قَبّلها سعيد ثُمَّ ابتسمَ: أصبتِ هند.

هند: الآن فَهِمتُ مَقصدُكَ أبي.

سعيد: حسنًا.. لتأخذي هديتُكِ.

نظرتْ إليهِ وأضافت: إنَّهُ صندوقٌ عتيق لا مَنظرَ له، كيف تُهدينيهِ أبي؟!

رَدَّ مُبتسمًا: إفتحيهِ لنَرى.

فَتَحتْ هند الصندوق لتُفاجأ بالحَلوى التي تُفضلُّها.

تعالت ضحكاتها، قَبّلَت أباها، ثُمَّ قالت: أنا هند ذات الجمالَين؛ فإن غابَ جمال وجهي حَلَّ جمال رَّوحي.

9_(هشام ورَدّ السلام)

دلفَ المُعلّم فصله بالمدرسة الإبتدائية وألقى التحيّة على تلامذتهِ ثُمَّ أخذ يكتب عنوان الدرس فكانَ رَد السلام.. نَظَرَ هيثم لصديقهِ هشام وهَمَسَ لهُ قائلاً:يبدو أنَّ رَد السلام ذو قِيمة عظيمة وفوائد عميمة وإلَّا ما جعلهُ المُعلّم عنواناً لحصة اليوم.

أومأ هشام مُبتسمًا.

أمسكَ المُعلّم بيدهِ بعض الحَلوى وقال: سأُلقي عليكم الآن تحيّة الإسلام، فمَن رَدَّها عليَّ سأُعطيهِ هَدية وأشارَ إلى الحَلوى، فالسلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

رَدَّ الجميع بصوتٍ واحد: وعليكم السلام ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

تبسمَ المُعلّم وأضاف: قد تحفزتم للهدية رُغم تواضعها وفنائها، فما بالكم بهدية عظيمة باقية، ليس هذا فحسب بل ورافعة من شأن صاحبها؟

سألهُ هيثم في فضول: وكيفَ لنا بها حضرة مُعلّمي خالد؟

شَكَرَ المُعلّم تلميذه على سؤالهِ الجميل وأضاف: قد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتُبيّن أهمية السلام وجزاءه، ومن ذلك قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ألا أدُلكم على شيءٍ إذا فعلتموهُ تحاببتم؟..

أفشوا السلامَ بينكم" وقولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ جزاء إلقاء التحية (السلامُ عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته) ثلاثينَ حسنة، وغير ذلك من الأحاديث، والعِبرة أبنائي أنَّ إلقاء السلام وردّهِ يُكسبكم حسنات باقية عند اللَّهِ ومحبة فيما بينكم.

شَرَدَ هشام بذهنهِ ليتذكّرَ كيف كانَ فِعلهِ من رَد السلام.

السلام عليكم ورحمةُ اللَّهِ وبركاته.

هشام لماذا لم تردَ السلام؟

لستُ راغبًا في ذلك أبي.

ولِمَ بُني؟

هكذا أبي يكفي أن ترد أُمّي.

أخذ الأبّ يوضح لهُ ولكن دونَ جدوى.

هشام لتردَ على الرجل السلام.

لن أفعل.. أتراني فارغًا؟

وما دخل هذا بذاك؟

أنا الآن ألعب وأمرح مع أصدقائي ولن أُضيعَ الوقت في ردِ السلام.

غَضِبَ عمرو من مقالتهِ فتركهُ وذهب.

أحسَّ هشام بالحُزن على ما فَرّطَ من حسناتٍ ثُمَّ تَنبهَ ليد المُعلّم وهو يُقدّم لهُ بعض الحَلوى قائلًا: هذهِ هديتُكَ المتواضعة لكن ما عند اللَّهِ خيرٌ وأبقى.

تبسم لهُ هشام وأخذها ثُمَّ شَكَرَهُ عليها.

انتهت الحصة وحانَ وقت الفُسحة، طَوَى التلاميذ كراساتهم ووضعوها في حقائبهم، ثُمَّ أخرجوا مصروفاتهم وهبطوا إلى فناء المدرسة، أخرجَ هشام الحَلوى التي أعطاهُ إيّاها المُعلّم وأخذ ينظر لها حتّى ترقرق الدمع بعينيهِ، دلف هيثم فوجدهُ هكذا، اقتربَ منهُ وربت على كتفهِ ثُمَّ أضاف: صديقي ما بك؟

نَظَرَ إليهِ هشام بعينٍ مُدمَعة ثُمَّ أضاف: لستُ أهلًا لهذهِ الحَلوى.

سألهُ هيثم: ولِمَ؟

أجابَ بصوتٍ حزين: فقد أهملتُ رَد السلام حتّى على أبي، فأنا لا خيرَ فيَّ ثُمَّ بَكى.

ربت هيثم على يديهِ وحدّثهُ قائلًا: بل الخير كُلّ الخير فيكَ هشام.

ابتسمَ لهُ قبل أن يسألهُ: كيف هيثم؟

أجابهُ بذاتِ البسمة: لأنَّكَ ندمت والندم بشارة خيرٍ هشام.

سألهُ هشام وقد اتسع فاه: أحقًّا هيثم؟

أجابهُ: بلى.. وستَرى بنفسك طالما صَدقت نِيَّتُك.

رَدَّ هشام بسرور: صدقت واللَّهُ يعلم ثُمَّ عَانقَ هيثم وشَكَرَهُ على توضيحهِ وهبطوا إلى فناء المدرسة؛ حيثُ التلاميذ يلعبون ويمرحون.

تَعلّم هشام أنَّ رَدّ السلام لا يمنعهُ مانع، ففي أي وقتٍ يُلقى السلام يجب على مَن سَمِعهُ الردّ، ومن هذا المنطلق أضحى هشام أكثر التلامذة إلقاءً للسلام ورَدًا لهُ.

10_(**فأتبعَ سببًا**)

قصّة قصيرة

(فأتبع سببًا)

صباحُ الخير أُمّي ثُمَّ قَبّلَ يُمناها.

صباحُ الخير بُنيّ ها قد أعددتُ لك الإفطار.

حسنًا أُمّي سأتناولُ بعضهُ وآخذ بعضهُ الآخر معي.

بل تناولهُ كاملًا هُنا فللعملِ طعامٌ آخر في هذهِ العُلبة كريم.

كريم مُقبّلًا رأسها: لا حرمني اللَّهُ إيَّاكِ أُمّ كريم.

أُمّ كريم: ولا حرمني اللَّهُ إيَّاك بِضعتي.

كريم: أُمّي سأُبدّل ملابسي فقد حان وقتُ الذهاب إلى البنك؛ فالمُحاسب الناجح مَن يضبط مواعيده ودَلَفَ غُرفته.

أُمّ كريم: كما تُريدُ بُنيّ ولكن لا تتأخر.

عربةٌ صغيرة تحمل قِدر الفول المدمس، وبعض الأطباق وزجاجات زيتٍ ما بينَ حارٍّ وغير حارّ، بالإضافة للكثير من الخُبز الطازج، والبصل الأخضر والطماطم والطحينة والتوابل.

عم عبده هَلاَ أعطيتني الخُبز كي لا يتأخر الأبناءُ على مدارسهم وحتّى لا أتأخر أنا على عملي.

تبسم لهُ وأردف: تفضل أبا وليد ومَدَّ إليهِ يدهُ بالخُبز، أفضلُ خُبزٍ لأفضل بشمهندس بشوش في زبائني.

رَدَّ أبا وليد بذاتِ الإبتسامة: بارك اللَّهُ فيك عم عبده.

خرجتْ من المطبخِ مُمسكةً بالمِنشفة تُجفف بها يدها بعد إنهاء عملها وأضافت: أبي قد جليتُ الأواني وأعددتُ كل شيءٍ لغداء اليوم ونظّمتُ البيت فأصبح في خيرِ هيئةٍ كما ترى حضرتُكَ.

أومأ مُبتسمًا قبلَ أن يُضيف: سَلِمَت يداكِ فلذتي وعوضكِ اللَّهُ خيرًا عن حُسن صنيعُكِ بي، فمُذ توفت أُمّكِ وإلى الآن قُرابة العشر سنوات لم تضجُري منّي، ولم تغضبي عليّ، رُغم ضعف حركتي وقِلة بَرَكَتي، فجزاكِ رَبّي بالجنّة نور بضعة قلبي.

نور بعدما قبَّلت رأسه: بل جزاك اللَّهُ عنّي خيرًا أبي؛ فقد أحسنتَ تربيتي وشجعتني على إكمالِ تعليمي، حينَ رفضتُ ذلك عند وفاة أُمّي، وها أنا ذا قد تعلّمتُ وعَمِلتُ بما تعلّمت وللحديثِ بقيّة فور عودتي من المدرسة فجدولي مليءٌ بأوائل الحصص اليوم.

أبا نور: أعانكِ اللَّهُ بُنيّتي.

انتصبتْ واقفة لتُحدّثهُ بصوتٍ مُتعَب: جاسر قد وضعتُ لك ما أردت في الحقيبة، أتُريدُ شيئًا آخر حبيبي؟

جاسر: أردتُ القميص الأبيض ذو الأزرّة السوداء ولكن لم أجدْهُ بخزينة الملابس فأين هو فاتن؟

فاتن: قد أعطيتهُ لفتحي (المكوجي)؛ كي يقوم بغسلهِ وكيّه، لعِلمي بموعد سفرك حضرة المحامي المحترم.

جاسر: بارك اللَّهُ لي فيكِ حضرة الطبيبة مالكةُ قلبي وأُمّ ولداي.

فاتن: بارك اللَّهُ لي فيك زوجي الحبيب، والآن لأذهب قبل أن أتأخر على المستشفى.

جاسر: والقميص؟

فاتن: سيأتي بهِ فتحي بعد دقائق لا تقلق.

غُرفةٌ صغيرة أسفل البناية تأويها وبنتها وولاداها بعد موت زوجها.

ماجدة إعتني بأخويكِ جيّدًا ريثما أعودُ من العمل.

ماجدة: حسنًا أُمّي ولكنَّكِ مُتعبة فلتأخذي اليوم إجازة؟

الأُمّ: وهل تأخذُ أبطنُنا إجازة من الطعام؟

أم هل تأخذ الدُّنيا إجازة من تعكيرِ صفونا؟

مَن يَمُت زوجها تاركًا لها ثلاثةُ أطفال بجانب ترمُلها.. تأخذ إجازة؟!

ماجدة: أُمّي سيرزُقنا اللَّهُ بعملٍ أفضل حينَ أكتفي من التعليم وأعمل.

الأُمّ: كيفَ تجرؤئينَ على قولٍ كهذا؟

ألهذا أتحملُ العناء؟

إذا فكّرتِ بهذه الطريقة فلماذا أعملُ أنا كجليسةٍ للأطفالِ مذ سبع سنوات؟

ماجدة: أُمّي....

الأُمّ مُقاطعةً: لا تقولي شيئًا قبل أن تُكملي تعليمكِ الجامعي، وتُصبحينَ مُمرضة تُداوي غيرها بالأملِ قبل الدواء.

ماجدة مُقبّلةً يُمناها: حسنًا أُمّي.

قد تجهزتُ أُمّي والآن سأذهب و....

كريم ما هذا الصوت بُنيّ فقد أفزعني؟

نَظَرَ من الشُرفة ليُخبرها بأنَّها أمطار تهطلُ بغزارة.

خَشيت عليهِ فحاولت منعهِ من الذهاب بقولها: لا تذهب اليوم بُنيّ فالوضعُ كما ترى؟

كريم وقد قَبّلَ يُمناها: بل سأذهبُ أُمّي فالعملُ لا يُؤَخر والحياةُ لا تتوقف.

ربتت على كتفهِ بعدما قَبّلَتهُ وأضافت: حفظك اللَّهُ ولدي.

عزّت إلى أين تذهب في هذا الطقس البارد؟

إلى موقعِ عملي أُمّ وليد؟

أُمّ وليد: كيف والطقسُ كما ترى وموقعُكَ يبعُدنا بكثير؟

أبا وليد: لستُ وحدي فجميع المهندسين قد ذهبوا مُبّكرًا كما أنَّني سأُرافق كريم.

أُمّ وليد بعدما أودعت جبينه بقُبلةٍ حانية: ليحفظكَ الرحمٰن.

نور دعكِ من العمل اليوم بُنيّتي؟

نور: لا يصّحُ أبي فالأطفال في انتظاري

أبا نور: أمَا تَرينَ هطول الأمطار؟

نور: بلى أبي وهذا ما يُفرحُ الأطفال فيلعبون بماء المطر، ويركضون هُنا وهُناكَ حتّى تبدأُ الحصص.

أبا نور: كما تُريدينَ بُنيّتي.

نور: لا تقلق أبا نور فلستُ وحدي سأذهب برفقة أُمّ ماجدة.

فاتن إستريحي اليوم فالطقسُ غيرُ مُطمئنٍ بالخير.

فاتن: لا تقلق عليَّ جاسر، فهناك مَن ينتظرونَّني، فالمرض لا يتوقف بهطول الأمطار ولا بغيره.

جاسر: حفظكِ اللَّهُ حبيبتي.

فاتن: وأنت حبيبي إعتني بنفسك، ولا تذهب قبل أن تطمئنَّ على عاطفٍ وإسلام فآخر أيَّام إمتحاناتهما اليوم.

جاسر: حسنًا حبيبتي.

عماد لا تذهب حتى أعود.

إلى أين فتحي؟

فتحي: إلى الأستاذ جاسر فقد تأخرتُ عليه.

عماد: حسنًا.. إعتني بنفسك فالماء يملأُ الشارع.

عم عبده أما آن لك أن تذهب؟

عم عبده: لا، فقد غطّئتُ عربتي حتّى لا يُصيبُها ماء المطر.

نزلوا جميعًا ذاهبينَ إلى أعمالهم، سائرين في مياهِ الأمطار ساعينَ نحو أهدافهم، لا يخشونَ برودة الطقس قَدرَ ما يخشونَ التأخر؛ لذا فبعضهم ينظرُ إلى ساعةِ يدهِ ليُجيب بعضهم الآخر السائل عن

الوقت، وفي كِلا الحالتين يحتضنونَ حقائب أعمالهم كي لا تُمَّس بقطرة ماء، ولا غرابة في فعلهم فقد اعتادوا ذلك.. ومُؤَكدٌ أنَّ نهايةَ الصبر جبر وأنَّ لكُلِّ سعيٍ وصول.

مريم توركان